

الْعِلْمُ وَالْعِلْمَاءُ فِي بِلَادِ الشَّامِ

ما زالت الشام منارةً للعلم والعلماء على مر التاريخ، جذابةً للعلماء، يرحلون إليها، ويقطنون بها، من عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى يومنا هذا.

قال ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ: «الشام موضع الأنبياء والمرسلين، ومركز الأولياء والصالحين»^(١).

وقد نزل بها عددٌ كبيرٌ من صحابة رسول الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فمنهم مَنْ كان في جيش الفتح، ومنهم مَنْ دخلها بعد ذلك.

حتى قال الوليد بن مسلم: «دَخَلَتِ الشَّامَ عَشْرَةُ آلَافٍ عَيْنَ رَأْتِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٢)!

وعنهم أخذَ الْعِلْمَ جملةً وفيرةً من علماء التابعين وساداتهم.

فَمَنْ نَزَلَهَا مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ:

من القادة والأمرأء: أبو عُبَيْدَةَ عامر بن الْجِرَّاحِ، وخالد بن الوليد، وشَرْحِبِيل بن حسنة، وعياض بن غَنَمِ الْفِهْرِيِّ، وشَرْحِبِيل بن السَّمُطِ الْكَنْدِيِّ، وحبيب بن مسلمة الْفِهْرِيِّ، وسعيد بن عامر الْجُمَحِيِّ، وفضالة بن عُبَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ، ومعاوية بن أَبِي سَفْيَانَ، مؤسِّس الدولة الأمويَّة بالشام.

(١) «مشاهير علماء الأمصار» (١/ ٨٤).

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٣٢٧).

وهؤلاء كلهم من الأمراء القادة، الذين تتابعوا على ولاية الشام وأقطارها.

ومن عامة الصحابة: بلال بن رباح، وسعد بن عباد، وأبو مالك الأشعري، وأبو ذرّ الغفاري، والفضل بن العباس بن عبد المطلب، وعوف بن مالك الأشجعي، وثوبان مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو الدرداء، وشَدَّاد بن أوس، وواثلة بن الأسقع، والعرباض بن سارية، وأبو أمامة الباهلي، وتميم الدَّاري، والمِقْدَام بن مَعْدِي كَرِب، وغيرهم كثير، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جميعًا.

ومن علماء الشام على مر القرون:

✽ أبو مسلم الخولاني (ت ٦٢هـ): الفقيه العابد الزاهد، ريحانة الشام، وقارئهم، من سادات التابعين، كان يُقال عنه: حكيم هذه الأمة.

✽ وعبد الرحمن بن عَمِّ الأشعري (ت ٧٨هـ): فقيه الشام وشيخ أهل فلسطين، بعثه عمر إلى الشام ليفقه أهلها؛ فتفقه عليه تابعو أهل الشام.

✽ وأبو إدريس الخولاني، (ت ٨٠هـ): عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء، وقاضي دمشق أيام عبد الملك بن مروان، كان من أهل الفقه في الدين.

✽ وقبيصة بن ذؤيب (ت ٨٦هـ): الإمام الكبير الفقيه، قال الزهري: «كان قبيصة ابن ذؤيب من علماء هذه الأمة»^(١).

✽ وبلال بن أبي الدرداء الأنصاري (ت ٩٣هـ): قاضي دمشق، قال الإمام البخاري: «بلال أمير الشام»^(٢).

(١) «السير» (٤/ ٢٨٢).

(٢) «السير» (٤/ ٢٨٥).

✽ وعمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ): أمير المؤمنين، الإمام العادل، والعالم العامل، المجتهد العابد الزاهد، بُويع له بالخلافة في مسجد دمشق؛ فنهضت في عصره مدرسة الشام نهضة علمية كبيرة.

✽ وبلال بن سعد السكوني (توفي بعد ١١٠هـ): الإمام الرباني الواعظ، شيخ أهل دمشق وقارئهم، كان لأهل الشام كالحسن البصري بالعراق، قال الأوزاعي: «لم أسمع واعظاً قط أبلغ من بلال بن سعد»^(١).

✽ ورجاء بن حيوة (ت ١١٢هـ): من أجلة التابعين الفقهاء، وشيخ أهل الشام وسيدهم، وكبير الدولة الأموية. روى عن: معاوية بن أبي سفيان، وأبي أمامة صديي ابن عجلان.

✽ ومكحول الشامي (ت ١١٣هـ): إمام أهل الشام وأفقههم في زمانه، لم يكن في زمانه أبصر بالفتيا منه، وهو شيخ الأوزاعي. قال سعيد بن عبد العزيز: «كان أفقه أهل الشام، وكان أفقه من الزهري»، وقال عنه الزهري: «العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة... ومكحول بالشام»^(٢).

✽ وعبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ): إمام أهل الشام في القراءة، وأحد القراء السبعة.

✽ وسليمان بن موسى الأشدق (ت ١١٩هـ): الإمام الكبير الفقيه، مفتي دمشق،

(١) «السير» (٩٠/٥).

(٢) «تاريخ دمشق» (١٩٧/٦٠)، و«السير» (١٥٥/٥).

قال سعيد بن عبد العزيز: «كان أعلم أهل الشام بعد مكحول، ولو قيل لي: مَنْ أعلم الناس؟ لأخذت بيد سليمان»^(١).

✽ والأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو (ت ١٥٧ هـ): شيخ الإسلام، وإمام أهل الشام في الفقه والزُّهد، قيل: إنه أجاب في سبعين ألف مسألة، وصار يُعمل بمذهبه في الشام نحو مائتي سنة.

✽ وسعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقيّ (ت ١٦٧ هـ): فقيه أهل دمشق ومُفتيهم بعد الأوزاعي، قال عنه الحاكم: «هو لأهل الشام كمالك لأهل الحجاز في التقدّم والفقه»^(٢).

✽ وأبو إسحاق الفزاري (ت ١٨٦ هـ)، الإمام الكبير، الحافظ، المجاهد، قال الشافعي: «لم يصنف أحد في السير مثل كتاب أبي إسحاق». وقال أبو حاتم: «اتفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمام يقتدى به، بلا مدافعة»^(٣).

✽ والوليد بن مسلم الدمشقي (ت ١٩٥ هـ): الإمام الحافظ، عالم أهل دمشق في عصره، كان من أوعية العلم وحفّاظ الحديث، قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما رأيتُ في الشاميين أعقل منه»^(٤).

✽ وأبو سليمان الداراني (ت ٢٠٥ هـ): الإمام الزَّاهد الصالح.

(١) «السير» (٥/٤٣٣).

(٢) «تاريخ دمشق» (٢١/١٩٣)، و«تذكرة الحفّاظ» (١/١٦١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٨/٥٣٩).

(٤) «تذكرة الحفّاظ» (١/٢٢١)، و«السير» (٩/٢١١).

✽ وعبد الله بن ذكوان (ت ٢٤٢هـ): مقرر دمشق وإمام الجامع، قال أبو زرعة الدمشقي: «لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه»^(١).

✽ وهشام بن عمار (ت ٢٤٥هـ): شيخ أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومُحدِّثهم ومُفتيهم، أحد شيوخ البخاري وأبي داود والنسائي وغيرهم.

✽ ودُحيم عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي (ت ٢٤٥هـ)، القاضي، الإمام، الفقيه، الحافظ، محدث الشام، وقاضي مدينة طبرية.

✽ وأبو زرعة الدمشقي (ت ٢٨٠هـ): الإمام الحافظ، محدث الشام، صاحب كتاب التاريخ وعِلل الرجال.

✽ وأبو مُسهر الغساني، عبد الأعلى بن مُسهر (ت ٢١٨هـ): شيخ أهل الشام وعالمهم بالحديث والمغازي والأنساب، قال يحيى بن معين: «منذ خرجتُ من بغداد إلى أن رجعتُ ما رأيتُ مثل أبي مسهر»^(٢).

✽ ومحمد بن عوف الطائي الحمصي (ت ٢٧٢هـ): محدث الشام، قال الإمام أحمد بن حنبل: «ما كان بالشام منذ أربعين سنة مثل محمد بن عوف»^(٣).

(١) «معرفة القُرَّاء الكبار» (١/١٩٩)

(٢) «التذكرة» (١/٢٧٩)، و«السير» (١٠/٢٢٨).

(٣) «التذكرة» (٢/١٢١)، و«السير» (١٢/٦١٣).

✽ وأبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، الإمام، الحافظ، الثقة، الرحال، الجوال، محدث الإسلام، وصاحب المعاجم الثلاثة.

✽ وعبد الله بن عطية الدمشقي (ت ٣٨٣ هـ): المقرئ المفسّر، قيل: كان يحفظ خمسين ألف بيت للاستشهاد على معاني القرآن واللُّغة.

✽ ونصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي (ت ٤٩٠ هـ): الإمام، شيخ الشافعية بالشام في عصره.

✽ وابن القيسراني، محمد بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧ هـ): الإمام الحافظ، الرَّحَّالَة المؤرِّخ، صاحب (أطراف الغرائب والأفراد)، و(أطراف الكتب الستة)، وغيرهما.

✽ والحافظ أبو القاسم ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ): محدث الشام ومؤرِّخها، صاحب تاريخ دمشق.

✽ وعبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠ هـ): الإمام الحافظ، صاحب عمدة الأحكام، والكمال في أسماء الرجال .

✽ وابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ): الإمام الفقيه، المجتهد، من أكابر علماء الحنابلة في عصره، صاحب كتاب المغني .

✽ وياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ): الإمام المؤرِّخ، اللُّغوي الأديب، صاحب (معجم البلدان)، و(معجم الأدباء).

✽ وابن أبي الدّم (ت ٦٤٢هـ): الإمام المؤرّخ، من علماء الشافعيّة، قاضي حَمَاة، وُلِدَ وتُوفِّيَ بها، وتفقّه ببغداد وغيرها، صاحب كتاب أدب القاضي .

✽ وضياء الدّين المقدسي (ت ٦٤٣): الإمام الحافظ المحدث، صاحب « الأحاديث المختارة »، بنى بدمشق مدرسة دار الحديث الضيائية المحمّدية، ووقف بها كتبه.

✽ وابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ): الإمام، الفقيه، المحدث، وليّ التدريس في المدرسة الصلاحية ببيت المقدس، ثم دار الحديث بدمشق.

✽ وأبو البركات مجد الدين ابن تيميّة (ت ٦٥٢هـ): جدّ شيخ الإسلام، الإمام الفقيه المحدث المفسّر، صاحب المنتقى من أحاديث الأحكام، والمحرّر.

✽ وعلم الدين السخاوي الدمشقي (ت ٦٥٧هـ): كان شيخ القراء، وإماماً في العربية، بصيراً باللّغة، فقيهاً مُفتياً، بارعاً في التفسير.

✽ وسلطان العلماء: العز بن عبد السلام، (ت ٦٦٠هـ): الإمام الفقيه، جمع بين فنون العلم من التفسير والفقه والأصول، وبلغ رتبة الاجتهاد، وصنف التصانيف المفيدة، منها القواعد الكبرى والصغرى.

✽ وابن العديم، عمر بن أبي جرادة الحلبي (ت ٦٦٠ هـ): المؤرّخ المشهور، رئيس الشام، صاحب «بُغية الطلب في تاريخ حَلَب»، ومختصره «زبدة الحلب في تاريخ حلب».

✽ وأبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ): المؤرِّخ المحدث، والفقير المجتهد، صاحب كتاب: الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية، وكتاب: الباعث على إنكار البدع والحوادث.

✽ والنووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ): الإمام الفقيه، المجتهد المشهور، والزاهد العابد، من مؤلفاته: المجموع، ورياض الصالحين، والأذكار.

✽ وابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ): المؤرِّخ، الفقيه، صاحب: وفيات الأعيان.

✽ وابن البخاري، فخر الدين علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٩٠هـ): محدث الإسلام ومسند الدنيا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ينشرح صدري إذا أدخلت ابن البخاري بيني وبين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث»^(١).

✽ وشمس الدين البعلبي (ت ٧٠٩هـ): الإمام، الفقيه الحنبلي، المحدث، اللغوي، صاحب (المطلع على أبواب المقيع) في تفسير غريب ألفاظ الفقه الحنبلي، وُلِدَ ونشأ ببعلبك، ونزل دمشق، وتوفي بالقاهرة.

✽ وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): الإمام المشهور، المجتهد، الفقيه، المفسر، القدوة.

✽ وأبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ): المؤرِّخ الجغرافي المشهور، صاحب كتاب: المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ أبي الفداء.

(١) انظر: «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/٤١٤)، والأعلام (٤/٢٥٧).

- ✽ وبدر الدّين ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) الفقيه، المحدث، القاضي، صاحب الكتاب المشهور (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلّم) و(المنهل الرّويّ في مختصر علوم الحديث النبوي)، وولّي الخطابة بالقدس، والقضاء بمصر والشام، كان من خيار القضاة، وكان صاحب دين وتعبّد ونزاهة.
- ✽ وعلم الدّين البرزالي (ت ٧٣٩هـ): مؤرّخ الشام، والحافظ المحدث المتقن.
- ✽ وأبو الحجّاج المزيّ (ت ٧٤٢هـ): الإمام الحافظ المحدث، صاحب: تهذيب الكمال .
- ✽ وابن عبد الهادي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٤هـ): الإمام الحافظ المحدث، الحنبليّ، صاحب: المحرّر، والعقود الدرّيّة.
- ✽ وشمس الدّين الذهبي (ت ٧٤٨هـ): الإمام الحافظ، صاحب: سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام.
- ✽ والسّمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ): الإمام المفسّر، اللّغوي، الشافعي، من أهل حلب، استقرّ واشتهر بالقاهرة، صاحب: الدرّ المصون من علوم الكتاب المكنون، في إعراب القرآن الكريم.
- ✽ وتقي الدين السّبكي أبو الحسن علي بن عبد الكافي (ت ٧٥٦ هـ)، الفقيه الشافعي، والأصولي، اللغوي، المقرئ.
- ✽ وابن مفلح، محمد بن مفلح (ت ٧٦٣هـ): الإمام الفقيه، صاحب: الفروع، والآداب الشرعيّة .

✽ وابن قِيَم الجوزيَّة، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ): الإمام الحافظ الفقيه المجتهد، صاحب (زاد المعاد) و(إعلام الموقَّعين) و(مدارج السالكين)، وغيرها من المؤلَّفات النافعة.

✽ والحافظ العلائي أبو سعيد صلاح الدين خليل بن كَيْكَلدي الشافعي (ت ٧٦١هـ): كان إمامًا في الفقه والأصول، متفننًا في علم الحديث ومعرفة الرجال، ومن تصانيفه: المجموع المذهب في قواعد المذهب، وتلقيح الفهوم في صيغ العموم.

✽ وصلاح الدين الصفدي، خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ): الأديب المؤرِّخ، صاحب (الوافي بالوفيات).

✽ والحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): الإمام المفسِّر المؤرِّخ الفقيه، صاحب (التفسير) و(البداية والنَّهاية).

✽ ومحمد بن شاعر الكتبي (ت ٧٦٤هـ): المؤرِّخ، صاحب (فوات الوفيات).

✽ وابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ): الإمام الفقيه المحدث، صاحب (جامع العلوم والحكم) و(شرح علل الترمذي)، وغيرها من المؤلَّفات النافعة.

✽ وابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): شيخ المُقرئين في زمانه، صاحب (النشر في القراءات العشر)، و (المقدِّمة الجزرية)، كان له بدمشق مدرسة سمَّاها (دار القرآن).

✽ وابن اللَّحَّام البعلبي (ت ٨٠٣هـ): الإمام الفقيه الحنبلي المشهور، صاحب (الأخبار العلمية في اختيارات الشيخ تقي الدين ابن تيمية)، و(المختصر في أصول الفقه)، و (القواعد) في الفقه الحنبلي، وُلِدَ بِبَعْلَبَكَّ.

✽ وسبط ابن العجمي، البرهان الحلبي (ت ٨٤١هـ): الإمام المحدث المشهور، من كبار فقهاء الشافعية، شيخ حلب ومحدثها، صاحب (الاغتباط بمن رُمي من الرواة بالاختلاط).

✽ وبرهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ): صاحب تفسير: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، وهو من البقاع في لبنان.

✽ وأبو الحسن المرادوي الدمشقي الصَّالِحِي الحنبلي (ت ٨٨٥هـ)، تصدى للإقراء بِدِمَشْقٍ ومصر ولالإفتاء، وانتهت إليه رئاسة المذهب، ومن كتبه: الإنصاف في معرفة الرَّاجِحِ من الخُلاف، وهو عالم متقن مُحَقِّق لكثير من الفُنون، منصف منقاد إلى الحق، متعفف ورع.

✽ ونجم الدِّين الغزِّي الدَّمَشْقِي (ت ١٠٦١هـ): المؤرِّخ، المُحدِّث، الفقيه، صاحب (الكواكب السائرة في تراجم أعيان المائة العاشرة).

✽ وابن العِمَاد (ت ١٠٨٧هـ): الفقيه، المؤرِّخ، صاحب (شذرات الذهب في أخبار من ذهب).

✽ وعبد القادر التغلبي (ت ١١٣٥هـ): الفقيه الحنبلي، صاحب كتاب: نيل

المآرب شرح دليل الطالب.

✿ ومصطفى الرحباني (ت ١٢٤٣هـ): الفقيه الحنبلي، صاحب: «مطالب أولي النهى في شرح غاية المُنتهى».

✿ وابن عابدين الحنفي (ت ١٢٥٢هـ) فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره، مولده ووفاته في دمشق، وله الحاشية المشهورة: «رد المحتار على الدر المختار».

✿ وحامد العطار (ت ١٢٦٣هـ): المحدث المفسر.

✿ وطاهر الجزائري ثم الدمشقي (ت ١٢٦٨هـ): الفقيه المُفتي المحدث.

✿ وعبد السلام الشطي (ت ١٢٩٥هـ)، إمام الحنابلة في الجامع الأموي.

✿ وبرز في القرن الرابع عشر علماء كثيرون مشهورون؛ منهم:

✿ المحدث الفقيه: سليم العطار (ت ١٣٠٧هـ).

✿ وعلامة الشام: جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ).

✿ والفقيه الحنبلي: عبد القادر بن بدران الدومي (ت ١٣٤٦هـ).

✿ والمحدث الأكبر: بدر الدين الحسني (ت ١٣٥٤هـ).

✿ ومحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) صاحب مجلة المنار.

✿ والأديب الشاعر: مصطفى الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ).

- ✽ ومؤرِّخ حلب: محمد راغب الطَّبَّاح (ت ١٣٧٠هـ).
- ✽ ومحمد كُرد علي (ت ١٣٧٢هـ) مؤسس المجمع العلمي العربي بدمشق.
- ✽ ومحب الدين الخطيب (ت ١٣٨٩هـ) صاحب المكتبة السلفية بالقاهرة.
- ✽ وخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) صاحب كتاب الأعلام.
- ✽ والفقيه الأصولي: أحمد الزرقا (ت ١٣٥٧هـ).
- ✽ ومحمد علي الدقر (ت ١٣٦٢هـ).
- ✽ ومصطفى السباعي (ت ١٣٨٤هـ).
- ✽ ومحمد محمود الحامد (ت ١٣٨٩هـ).
- ✽ والمصلح الأديب: محمد بهجة البيطار (ت ١٣٩٦هـ).
- ✽ والشيخ العلامة: محمد أمين المصري (ت ١٣٩٧هـ).
- ✽ والمربي الجليل: حسن حبنكة الميداني (ت ١٣٩٨هـ).
- ✽ والأديب الأريب: علي الطنطاوي (ت ١٤٢٠هـ).
- ✽ ومصطفى بن أحمد الزرقا (ت ١٤٢٠هـ).
- ✽ ومحدث الشام: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
- ✽ وعبد الغني الدقر (ت ١٤٢٣هـ).

✿ والشيخ عبد القادر الأرنؤوط (ت ١٤٢٥هـ).

✿ ومصطفى سعيد الخن (ت ١٤٢٩هـ).

✿ ومحمد سليمان الأشقر (ت ١٤٣٠هـ).

✿ وعبد الرحمن الباني (ت ١٤٣٢هـ).

✿ وعمر سليمان الأشقر (١٤٣٣هـ).

وغيرهم كثير، فالشام بلد العلم والعلماء في كل عصر وقرن؛ فلم يخل قرن من القرون ولا عصر من العصور منذ الفتح الإسلامي لدمشق من علماء عاملين، وأئمة مُصلحين كبار، تألقت نجومهم وازدهرت علومهم، ولا يزال المسلمون ينهلون من علومهم حتى الساعة.

فاللهم أعد للشام مجدّها، وفك أسرها، وقو شوكة أهلها، واجعلها منارة للعلم والعلماء كما كانت. . آمين.